

الإثنين 11-08-2010

1076- جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة



الحلقة: (78)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة بهذا المقطع:

ما تتركبهاش؛ على مهك

و"سعيده" وحابقي اندهلك!!!

كنت قد صرخت قبلها:

مش يمكن لعبة "إستنى" تفضل على طول

على ما يحصلني الدور حاخلمص.

حين يمتد الجوع بهذا الوضوح والاحتجاج، يصبح الوعد بالرّى أصعب من القبول بالواقع، بل إن مثل هذا الوعد، لو انساق المخدوع إليه يزيد الجوع اشتعالا، فالجوع مع التلويح باحتمال الرّى هو أقصى من الجوع مع التسليم باستحالة الرّى، فالخذر من أن تكون هذه اللّمة في الأفق ليست إلا سرايا: واجب (مش يمكن لعبة إستنى تفضل على طول)؟

الانتظار المفتوح هكذا هو أحيث ألعاب التأجيل وُعدا بما لا

يكون، بما يترتب عليه أن تحل النهاية قبل أن يأتي عليه الدور (على ما يحصلنى الدور حاخلص)، السخرية التي تلت ذلك بأنها

"سعيدة"، وحابقى اندهلك"،

تكشف هذا النوع من الوعود، "وداعاً" هنا أفضل من "إلى اللقاء"، فما بالك بـ "سعيدة" وهي تحية غير مألوفة في ثقافتنا إلا عند بعض إخواننا المسيحيين تجنباً للسلام عليكم مع أنه "على الأرض السلام"، سعيدة هنا تعنى الاستهانة بجدية المطالبة بالحق في الضعف وفي الأخذ وفي الرؤية.

هنا تقفز أهمية التدريب على الجانب الأيجابي من "معايشة اللحظة" "هنا والآن"، بدأ (حُدس اللحظة) من تنظير بإشلال Link حتى الممارسة العملية في العلاج الجمعي، أنه لا شيء يوجد إلا "الآن"، ما ليس هو الآن، ليس هو، ألخ على هذا المبدأ حتى عبرت عنه في الأراجيز التي كتبتها للأطفال:

بيجي بكره تلاقى بكره

"النهاردة" بتاع غداً

إذن ليس هناك بكره؟!!

فما العمل

يخيل إلى أن التعريه في المقطع التالى هي موضوعية أكثر منها تسول لزوج

واهيأى حايشوفوا انا مين.

وانى غلبان محتاج ليهم،

وجعان، محروم، عايش بيهم،

أضعف، وازحف، وأقغ، وأقوم.

إذا كان الحق البسيط العادى (حق الضعف، وحق المعاملة بالمثل) غير جاهز، أو حتى غير وارد، فإن الاستمرار في المطالبة به يصبح نوعاً من النعابة، ولا مفر من أن يمتلئ "الآن" بانتظار من نوع آخر، فليستمر الجمل في حمل الحمل بشرف دون شكوى، حتى لو حمل الكرة الأرضية فوق قرنه

وشهور وسنين وانا باستنى

"شلتها على قرنى" وبأتمنى

حمل همّ كل الناس، بإرادة متواضعه، دون ادعاء النبوة، والاستمرار في ذلك دون نعابة تنتظر المقابل، هو نوع التمنى الذى يؤكده استمرار التميز بموقف عطائى من نوع آخر، هل هذا ممكن دون الانزلاق إلى المثالية الخائبة.

وبنيت قصرى سگنته الناس

لست متأكدا ماذا يعنى "القصر" هنا، حضرنى قول مواز من قصيدة بالفصحى "رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبي لهب" والتي ورد فيها نص فيه كلام عن: "روضتى" و"ملعى"، واعتقد أن لهذا وذاك صلة ببناء "قصرى" هنا

جاء ما يلى فى قصيدة الفصحى:

فى "روضتى"،

ألقيت بذرة القلق

نبتت بوجدان البشر

وقد انهيت هذه القصيدة بقول:

يا سادتى

هذا أنا لما أزل

سيفى خشب

لكن لؤلؤة الحياة بداخلى لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغبى

ينمو البشر فى ملعى

تصورت الآن أن شطر "وبنيت قصرى سكنته الناس" يمكن أن يشير إلى أن ذلك قد تم فى "روضتى" التى ألقيت فيها بذرة القلق، وأن ذلك القصر محاط "بملعى" حيث "ينمو البشر"

المألوف أن القصر هو لصاحب القصر دون الناس، وأن الملعب للعب دون النمو، إلا أنه يبدو أيضا أنى حين اضطرت اضطرارا لهذا التأجيل رداً على تخليهم وسخريتهم، نسيت التأجيل، واتسعت دائرة مسئوليتى ربما "غصبا عنى"، حتى صار همى هو "الناس"، مرة أحاول أن أسكنهم قصر فكرى وخيرتى انطلاقا إلى قصورهم الخاصة المفتوحة، ومرة أخرى لأتيح لهم اللعب (الابداع) فى ملعى حتى يكملوا مسيرة النمو (الابداع)، فخطر لى أن ملعى هذا هو حول القصر.

إن كان الأمر حقيقة كذلك فأين الانتظار، ولماذا التأجيل؟

لكننى أظل الانسان الفرد الضعيف صاحب الحق، فقط دون نعباءة، انتظر أن يرانى أحدهم كما أنا، وليس كصاحب القصر المبني فى الروضة وحوله الملعب.

ويتكرر الاحتجاج على هذا الرفض القبيح

فيتكرر رفض الاحتجاج

= ما فيناش من كده مش لايقة عليك.

- لأ. لايقة ونص:

ويتصاعد التحدى كما تتأصل الثقة بأنه: ما دام الوقت "الآن" مليء بالناس للناس، فالخق واصل لصاحبه مهما طال الزمن.

لو حتى الليل طال ست شهور،
 والتلج أجمع فوق قلبي،
 والطفل أجمد مالمسقه،
 والدم اتوقف في عروقي،
 والنهر بقى صخر بيلمع،
 والوادي بقى صحرا بتلسع
 والبني آدمين بقوا مش همة،
 أنا حاعملها .

ويقابل هذا التحدى بالإصرار من جانبهم على أن يظل يحملها مادام يدعى أنه بكل هذه القدرة.

= قدها وقدود، ياللا اعملها ،
 بس تخليك، برضه شايئها

كررت الحديث مرارا كيف أن الوعي الجماعي Collective Consciousness الذى يتكون منا أثناء العلاج الجمعي، نتيجة حركية (وتناض) النصوص البشرية أثناء إعادة تشكيلهما معاً، هو وعى متصاعد إلى وعى أوسع فأشمل، فأعلى فأرحب، حتى تتناغم مستويات الوعي فيما تفيده نهاية القصيدة هكذا:

- ربنا موجود حا يعدلها
 يزرع في قلوب المحرومين:
 بذرة تنبت، حب وتسبيح،
 تطرح شجرة لها ضل كبير،
 تحضن نسمة وتغازل الريح،
 وتفرع توصل لخالقها .

لكنهم - برغم كل ذلك - لا يكفون عن التثبيط والسخرية
 =إبقى قابلى !!

وفي المقابل: لا أهدم بدورى من الحركة والتجريب والسعى بالناس إلى الناس، فأكتشف أن الناس الذين يملئونني بحق ليسوا هؤلاء الناس المعتمدين على طول الخط، وإنما هم الناس بداخلى وخارجى في حركة مثقلة مع هذا الوعي الجماعي الذى يتخلق ناميا باستمرار "إليه".

- وطلعت أدب،
 نزلت أدب،
 ولقيت ناسي
 جَوْهٌ وَ بَرَّه
 مائيين القلب.
 وقتلت الغول
 حَوَّطُوا بَيْتًا

وربما هذا أيضا هو ما يقابل ما جاء في أرجوزة الأطفال وسبق ذكره.

الحياة الخلوة تحلى بكننا، إنت وانا،
كل واحد فينا هوّا بعضنا،
 بس مش داخلين في بعض وهربانين،
 زى كتلة قش ضايعة ف مجر طين.
 ايوه فعلا: كل واحد هوّا نفسه،
بس نفسه هيا برضه كلنا،

مالي وعيه برتنا

نهاية القصيدة الحالية نهاية مفتوحة لا تحدد معالم القفلة،
 حيث تقول:

وَعَمَلْنَاها،
 "طَلَعَتْ هَيْهَ ."

يلاحظ هنا أن القصيدة انتهت بـ "وَعَمَلْنَاها"، وليس بـ "عملتها"، إذا يبدو أن القضية لا تتوقف عند "أكون أو لا أكون" أو حتى عند "أكون أو أصير"، وإنما بالضرورة عند أكون لنكون، فيكونون لأكون.

وبعد

أين يقع كل هذا من العلاج النفسي؟

أولا: نبهت ابتداءً أن هذه القصيدة، والتي تليها (الأخيرة) فيها جرعة السيرة الذاتية غالبية غالبية بشكل كاد يفصلها عن "فقه العلاقات البشرية" لكنني أضيف هنا: وهل أنا أعالج مرضى إلا بما هو أنا، بعجزى واجتهادى ومحاولتى وتعربتى وعلاقتى بنفسى وبهم إلى ربنا؟

ثانيا: لعل في هذه القصيدة بملقاتها الثلاثة ما يوصل لمن يقبل الاشتغال بهذه المهنة مدى صعوبتها التي تحتاج إلى مجاهدة النفس إلى هذه الدرجة حتى يمكن أن يستمر.

ثالثاً: يبدو ان هذا الموقف البسيط العنيد الصعب كان هو هو موقفى منذ تبينت معالم مسارى الشخصى من خلال مهنتى، فقد حضرتنى قصيدة موازية كتبها بالفصحى قبل عام واحد من كتابة هذا الديوان، التى حاولت أن أبين فى هذه القصيدة (وهى التى اقتطفت حالا بعض أبياتها)

وقد فضلت أن أورها كاملة، أختم بها هذه الحلقات الثلاثة وعنوانها كما جاء حالا:

"رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبي لهب"

-1-

يا سادتى

اتبيت يدا أبي لهب'

ماذا كسب؟

.. ..

يا سادتى

هذا أنا لما أزل

'ألقى السلاح؟؟'

لا ..

هذى أمانيكم

(...كذا؟)

والسيد اليأس المثلث بالعدم

يلقى التحية الشماتة الندم

على مصارع الهواء الناهب العتل المتيم بالأمل،

سيفى خشب؟

خيرٌ من الخبل المسد

فى جيدكم .

-2-

طاحونتى ...

عبث الهواء بكفها

دارت تئنٌ، توقفت

دارتْ

طاحونتى، ثأرى القديم

لكن روضى يرتوى من مائها
 مهما علا سد الفزع
 وتعثر الجرى جندل ظنكم
 لن توقفوا نهر الحياة
 بل، فاحذورا طوفانها.
 -3-

في روضتى
 ألقىت بذرة القلق
 نبتت بوجودان البشر
 تحت الجنين الطين فانهار العدم
 صرخ الوليدُ الطفلُ أذن بالألم
 وتناول الشجر الجديد
 يعلو قباب الكون إذ يغزو القمر
 والشوك يدمى الكف إذ يحمى الثمر
 واللؤلؤ البراق فوق الساق من صمغ الضجر.

-4-
 ذى صرختى ..
 سوط اللهيب النور رعد القارعة
 يكوى الوجوه ..
 يا ويحكم !!
 من يوقف الرجح الصدى في قلبكم
 هيهات إلا الموت
 حتى الموت لا يخفى الحقيقة بعدنا
 ..
 يا ويحكم منها بداخلكم ..
 نعم ... ليست أنا
 بل نحن في عمق الوجود
 بل واهب الطين الحياة

بل سر أصل الكون، كل الكل

نبض الله في جنباتنا

ليست أنا.

-5-

يا سادتي:

هذا أنا لما أزل...

سيفى خشب؟؟ لكن لؤلؤة الحياة بداخلي لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغي

ينمو البشر... في ملعي.

(طبق الأصل)

("دون كيشوت") .